المكانة العلمية لبيت أبي عبد الله الشريف التلمساني في الغرب الإسلامي
من خلال مخطوط " مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن " لأحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895هـ
(قراءة و تحقيق)

د.الطاهر بونابي قسم التاريخ-جامعة المسيلة- الجزائر.

مقدمة:

يعتبر مخطوط مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق و أبي يحيى عبد الرحمن لمؤلفه أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ، من النصوص المناقبية التي تندرج ضمن صنف مناقب العلماء ، أرخ فيه مؤلفه للمسيرة العلمية والدينية و الروحية لجده أبي عبد الله الشريف (710هـ-771هـ) و عمه عبد الله الغريق (748هـ-792هـ)ووالده أبي يحيى عبد الرحمن (757هـ-826هـ) ، و تكمن أهميته في كونه تتبع نشاط و إنجازات كل واحد من هؤلاء العلماء ضمن سياق من الحياة الدينية و العلمية و الثقافية و السياسية في بيئات تلمسان و تونس و فاس و غرناطة خلال العهد الزياني و الحفصي و المريني و النصري بين 710هـ و 826هـ ، كما أنه يجسد شبكة العلماء المنتمين في المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري إلى مدرسة محمد بن إبراهيم الآبلي ت757هـ و الذين صاروا يشتركون في الانتماء إلى الأبوة الآبلية كرابطة علمية و معنوية ضمت جناح المتكلمين الأصوليين [1] و الذين اهتم صاحب المخطوط برصد نصوصهم الكلامية و مباحثهم المنطقية و الفقهية مما يساعد على قراءة جانب من المنحى الكلامي و الأصولي للمدرسة الآبلية ،ثم إن نصوص هذا المخطوط قد وردت ثقيلة الحمولة و متعددة الموضوعات بين دينية و فكرية وثقافية و اجتماعية و سياسية و اقتصادية ، مما جعلني أقتصر على محاولة قراءة المكانة العلمية لبيت أبي عبد الله الشريف العلوي التلمساني[2] متوخيا التوثيق و التحقيق ، نظرا لعديد الإشكاليات المطروحة حول هذا المخطوط من حيث بنيته و نسبته و مضمونه .

1-بيانات المخطوط وبنيته:

صار المخطوط الموسوم بـ مجموع فيه مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن لمؤلفه أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895هـ،مخطوطا كامل البنية بعد ظهور نسختين منه الأولى تعود ملكيتها لمؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء بالمملكة المغربية وهي بعنوان : **"مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه عبد الله الغريق و أبي يحيى عبد الرحمن"** .وخطها مغربي واضح وعدد أوراقها 77ورقة ومكتوبة بخط مغربي جميل وتتألف من عشر-أبواب غير أنه وبداية من الورقة 50، يوجد بتر من تمام الباب السابع إلى تمام الباب التاسع[3]

أما النسخة الثانية فهي ضمن مجموع بمكتبة المسجد النبوي بالمدينة وعنوانها**"القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف وولديه "**،ومنسوب لأحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ وعدد أوراقها 82 ورقة مكتوبة بخط مغربي واضح وتتألف من عشر أبواب غير أنها كذلك منقوصة المقدمة.[4]

وبعد فحصي للنسختين والمقارنة بين نصوصهما تبين لي أنهما متطابقتان وقمت بإكمال البتر الموجود في نسخة مؤسسة آل سعود من نسخة الحرم النبوي فتحصلت بذلك على نسخة كاملة للقراءة .

بدايتها: "الحمد الله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء و قدوة أوليائه و أصفيائه".

ونهايتها: "وختم علي وعليكم بالحسنى إنه المنعم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله".

([1]) تكرر في ضمن نصوص المخطوط عبارات و مصطلحات (القرابة العلمية و الأخوة في التلمذة للمشيخة الآبلية).أحمد بن أبي يحيى : مجموع فيه مناقب أبي عبد الله الشريف العلوي وولديه أبو عبد الله الغريق و أبي يحيى عبد الرحمن ، مخطوط مؤسسة عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، المملكة المغربية رقم 314، ورقة 21.

([2]) حسب عبد الرحمن بن خلدون فإن أبا عبد الله محمد الشريف يعرف بالعلوي نسبة إلى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلوين. رحلته غربا وشرقا، تحقيق، محمد بن تاويت الطنجي، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2003، ص 105.

([3])تحمل نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية ،الدار البيضاء المملكة المغربية ، رقم 314.

([4]) رقمها بمكتبة الحرم النبوي ، 3/80113حافد .

وبآخر النسختين هناك إضافة كتبها عبد الله بن أبي عبد الله محمد الحسني وهي في مناقب السلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني 796ھ-801ھ و صلته بشيخه أبي يحيى عبد الرحمن والأعمال التي قام بها في افتداء الأسرى من الأندلسيين والشرفاء بسواحل وهران ومستغانم ودلس، وكذلك سياسته في تشييد المساجد وتحرير مخازن بلده ورفع الوظائف والتكاليف، وفيه إشادة واضحة من جانب محمد الحسني بالسلطان أبي زيان محمد [1]

وبداية هذه الإضافة "وكتب الفقير إلى الله عبد الله بن أبي عبد الله محمد الحسني لطف الله به " ونهايته: "والصلاة و السلام على النبي كما هو أهله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم ".

وفي نهاية نص مخطوط مؤسسة عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء هناك إشارة إلى الناسخ في قوله :**"كمل التأليف المبارك نفعنا الله بهم وأفاض علينا من بركاته وحشرنا في زمرتهم على يد العبد الفقير إلى رحمة مولاه الراجي عمن سواه محمد بن أبي يحيى بن محمد الحسني لطف الله به في الدارين و إنه سميع مجيب"**

ومن خلال ذلك يتضح أن كلاًّ من صاحب الإضافة والناسخ هما من الأشراف الحسنيين كما أنهما فيما يبدو قريبان من بيت أبي عبد الله الشريف العلوي ولعل الناسخ هو ابن صاحب الإضافة ،الذي يظهر كذلك كأن له صلة بالسلطان أبي زيان محمد وقريب من بيت أبي عبد الله الشريف وولديه[2] .ونظرا لوضوح نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء فقد اعتمدتها في دراسة موضوع المقال وما نقص منها استمددته من نسخة المسجد النبوي بالمدينة . وتتفصل بنية المخطوط إلى مقدمة وعشر أبواب، تتعلق الأبواب التسعة بأبي عبد الله الشريف 710ھ-771ھ، وينهض الباب العاشر بولديه أبي محمد عبد الله الشهير بالغريق 748ھ-792ھ وأبي يحيى عبد الرحمن 757ھ-826ھ.

ومحتوياته فيما يلي:

مقدمة المخطوط

الباب الأول:في نسبه ونشأته ومولده .

الباب الثاني : في طلبه العلم واجتهاده وشيوخه وثناء العلماء عليه .

الباب الثالث في: خَلقه وخُلقه وهيئته وسيرته .

الباب الرابع في: علومه و تواليفه وفوائد من أجوبته .

الباب الخامس في: مهابته وحفظه منصب العلم وعلو رتبته .

الباب السادس في: زهده وتدينه ومروءته وأمانته .

الباب السابع في: تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله .

الباب الثامن: في ما اختصه الله به من الكرامات التي لا تدخل تحت الاكتساب .

الباب التاسع : في وفاته و مرائي رُئيت له في حياته وبعد موته .

الباب العاشر في: ذكر خلقه وذريته وما جنى من غرس ثمره .

2-السيرة الذاتية لمؤلف المخطوط:

ينتمي مؤلف المخطوط إلى أحد أعرق البيوتات التلمسانية شرفا وأشهرها علما، فهو أبو العباس أحمد بن أبي يحيى بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى بن القاسم ابن المحمود بن ميمون بن علي بن عبيد الله بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه

(1)أحمد بن أبي يحيى : مجموع فيه مناقب أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق و الولي الصالح أبي يحيى عبد الرحمن، ورقة 75-78، أحمد بن يحيى الونشريسي: القول المنيف في التعريف بالإمام عبد الله الشريف، نسخة مكتبة الحرم النبوي ، ص ص 181،182.

(2) نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود ، ورقة 77.

[1] نزل بيتهم إلى تلمسان في أعقاب سقوط دولة الحموديين الشرفاء بالأندلس، و استوطنوها "فكان لهم بها المنزل المنيف والقدر الشريف يرثون الجلالة كابرا عن كابر ويتبرزون في صدور المنابر"[2].

ولا نملك حول سيرته وتكوينه العلمي وشيوخه سوى معطيات تخصه في علاقته بشيوخ أسرته ذكرها في ثنايا نص المخطوط، فقد أدرك جده محمد أبي عبد الله الشريف 710هـ-771هـ، وهو لا يزال في حداثة سنه وسجل، حول هذه الفترة،يقول فيها: " **على أني أدركت الشيخ وبشرته ورأيت وجهه السعيد وعرفته وحضرت مجلسه صغيرا وسمعته، وإن الخيال لحافظ لشكله والعقل ثابت لما يميز من فضله**"[3].

كما كان ملازما لعمه أبي محمد عبد الله الغريق 748هـ-792هـ ، ووالده أبي يحيى عبد الرحمن 757هـ-826هـ وكثير الحضور إلى مجالس مذاكراتهم ومحاوراتهم [4]، فقرأ على عمه مدة ثلاث عشرة سنة، وخبر سيرته ولازم والده إلى غاية وفاته سنة 826هـ.

ويظهر من أسلوب إطرائه لأمراء بني زيان أنّه عاصر فترات حكم كلّ من أبي تاشفين الثاني، عبد الرحمن ابن أبي حمو الثاني 791-795هـ/ 1389-1392م، وأبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني 795هـ-799هـ/1392م-1393م ، وأبي الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني 796هـ-797هـ/1393م-1394م ، فضلا على صلته بالسلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو 797هـ-801هـ/1394م1399م تلميذ والده أبي يحيى، فقد كان من المقربين إلى البلاط الزياني ومن الأوفياء له، مثل جده وعمه ووالده، فقد اعتبر استجابته لطلب السلطان أبي زيان محمد في الكتابة حول شيخه أبي يحيى عبد الرحمن بن محمد الشريف، من الوفاء بحق النعمة التي وهبها هذا السلطان لبيت جده أبي عبد الله محمد الشريف في قوله: " **فابتدرت لمراده ..وفاء بحق نعمته ورجاء في عرفان شيخ أشياخي وبركته**" [5].

ومن هنا عاش عن قرب ألطاف وهبات السلطان أبي زيان محمد على أسرته بعد وفاة جده أبي عبد الله محمد الشريف ت 771هـ . وسجل لنا في مخطوطه مشاهدها في قوله :" **و لما بلغ السلطان أعزه الله موته عظم عليه ذلك وتأسف وبعث إلى ولده الفقيه أبي محمد عبد الله الغريق ...ثم أعطاه المدرسة و أمره بالجلوس في مجلس أبيه ورتب لبنيه كلما كان للشيخ رحمه الله من المرتبات و المداشر والأجنة والحارث و البحاير وقسمه عليهم، وأنه بأيديهم إلى يومنا هذا...وإنه لمن أحسن الناس عهدا في مراعاتهم وأكلهم فضلا في اعتقادهم وموالاتهم** " [6].

وإذا كان نص المخطوط وفر لنا الشارد القليل من المعلومات حول السيرة الذاتية للمؤلف ، فإن مدونة التراجم والفهارس التلمسانية والمغربية وردت مقتضبة في الموضوع ولا تف بالغرض، فقد وصفه محمد بن محمد بن مريم (كان حيا 1025هـ/1611م) بالعالم العلامة المحقق المفسر، وذكر من شيوخه ابن مرزوق الحفيد ت 842هـ و ذكر ما جرى بينهما من نقاش في "**مسألة المتيم يدخل في الصلاة ثم يطلع عليه رجل بالماء**"، وهي المسألة التي أورد ذكرها كذلك الونشريسي في معياره ت 914هـ [7]. غير أن أحمد بابا التنبكتي ت 1036هـ انفرد برواية مفادها أن المؤلف كان قاضيا للجماعة بغرناطة[8].

أما حول تاريخ وفاته فقد أخذ أحمد بن القاضي ت 960هـ [9] برأي أحمد بن أحمد الونشريسي ت 914هـ ،في اعتبار سنة 895هـ تاريخا لوفاته [10]، مما يعني أن المؤلف من وقت إدراكه لزمن جده أبي عبد الله محمد الشريف ت 771هـ صبيا إلى تمام 895هـ ، يكون قد عمر أكثر من 124 عاما حسب رواية الونشريسي، التي أخذ بها التنبكتي متحفظا في قوله:" **و لم أقف على وفاته، ثم رأيت في وفيات الونشريسي** [11].

---

[1] أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن :المجموع ، ورقة 4.
[2] -نفسه: ورقة 5.
[3] -نفسه: ورقة 51.
[4] -نفسه: ورقة 51، 115.
[5] -المجموع: ورقة 3.
[6] -نفسه: ورقة 50.
[7] -البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان، نشر محمد بن شنب، تقديم: عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 44.
[8] -نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ج1، تحقيق: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص 128.
[9] -لقط الفرائد من لفاضة حقق الفوائد، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1976، ص 251.
[10] -وفيات الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والنشر، 1976، ص 152.
[11] -نيل الابتهاج، ج1، ص 128.

3-نسبة المخطوط إلى أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895هـ:

لم يقر أصحاب المدونات التاريخية المغربية في كتب التراجم والفهارس بنسبة المخطوط لصاحبه أحمد بن أبي يحيى،سواء أكان ذلك عن طريق المعاصرين للمؤلف، أم من طرف الذين ترجموا له في القرنين 10و 11 الهجريين /16و 17الميلاديين، حيث وقفنا على إشارتين تتعلق بالمخطوط،لكن دون ذكر لاسم المؤلف، فابن مريم الذي انتهى من تأليف كتابه :"البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان"سنة 1011هـ،ذكر أثناء ترجمته لأبي عبد الله محمد الشريف (الجد) أنه وقف "**على جزء لبعض التلمسانيين عرف صاحبه بالشريف وولديه فلخصته في جزء سميته القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف**"ولدى فحص ما ورد عند ابن مريم في التعريف بأبي عبد الله الشريف وبما ورد في المخطوط تبين أن نصه يتقاطع حرفيا مع العبارات الواردة في المخطوط[(1)] .ويبدو أن الجزء الذي وقف عليه ابن مريم، عثر عليه قبله أحمد بابا التنبكتي 1036هـ/1631م، يعكس ذلك شهادته في قوله :"**ثم وقفت على جزء لبعضهم في كراريس عرف به –أي بالإمام أبي عبد الله محمد الشريف وبولديه**"[(2)] .واتخذ من نصه العمدة في رواية تفاصيل سيرة الإمام وولديه.

ويبدو أن أحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ قد سبقهما إلى الاستفادة من هذا المخطوط، حيث أتى على نقل كلّ إشكالات المنطق والأسئلة الكلامية والنوازل الفقهية التي طرحت على أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني من طرف علماء إفريقية و الأندلس و تلمسان ، وعدد صفحاتها التي تقاطعت مع نص المعيار تقاطعا حرفيا دون زيادة أو نقصان هي في 50 ورقة تقريبا، مع العلم أن نص المخطوط ورد في 77 ورقة كما أسلفنا.

وهي كالتالي:

اشكالات المنطق والأسئلة الكلامية والنوازل الفقهية التي طرحت على أبي عبد الله الشريف العلوي وولده أبي يحيى عبد الرحمن	**النّص في المخطوط(نسخة مركز الملك آل سعود الدار البيضاء)**	**النّص في معيار الونشريسي**
اشكالات وأسئلة أبي زكريا يحيى الرهوني وأجوبة الشريف التلمساني	ورقة 21 -26.	ج12، ص ص 163-170.
سؤال السلطان أبي حمو موسى الزياني حول حديث ((حُبب الي من دنياكم))، وجواب الشريف التلمساني	ورقة 12-44.	ج12، ص ص 170-176.
الأسئلة الفقهية من أبي سعيد فرج بن لب الغرناطي وأجوبة الشريف التلمساني (أطلقنا عليها الأسئلة الغرناطية والأجوبة التلمسانية)	ورقة 29-32.	ج2، ص ص 47-50.
سؤال لم يرد ذكر صاحبه حول المقلد والمجتهد في الدين والمذهب، واجابة الشريف العلوي.	ورقة 32-37	ج11، ص ص 364-370.
نازلة تتعلق بثبوت الشرف من جهة الأم، واجابة الشريف العلوي	ورقة 44-49	ج12، ص ص 211-218
سؤال في علم الكلام ورد من بجاية، وجواب الشريف العلوي عليه	ورقة 56-58	ج12، ص ص 233-236.
سؤال حول معنى الآية ((ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر)) موجه إلى أبي يحيى عبد الرحمن، وجوابه على ذلك.	ورقة 63-74	ج12، ص ص 240-254.

فهل أن هذا التقاطع الحرفي يقوي من فرضية أن نص المخطوط الّذي يتوفر عليه كلّ من مركز الملك آل سعود بالدار البيضاء بالمغرب ومكتبة الحرم النبوي هو من تلخيص أحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ، كما هو منسوب إليه في نسخة مكتبة الحرم النبوي؟

لا ريب في أن هذا التقاطع يحيلنا إلى طريقة أحمد بن يحيى الونشريسي ت 914هـ في نقل النصوص من مضانها الأصلية إلى المعيار الذي يعد إلى جانب كونه مدونة نوازلية بإمتياز ، هو كذلك تجميع لعديد المصنفات بكاملها ، و هي طريقة اختص بها الونشريسي ، ثم لماذا

(1) البستان، ص ص 166-183.

(2) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق أبو يحيى عبد الرحمن الكندري ،ط1،دار ابن حزم للطباعة و النشر ،لبنان ،2002، ص332.

نسب المخطوط إلى الونشريسي ، ألا يعد ذلك من أخطاء الناسخ ، مع أن ابن مريم هو من لخصه ، كما أن عنوان نسخة الحرم المدني أي **"القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف "** هو ذات العنوان الذي وضعه ابن مريم للمخصه كما صرح بذلك و سبق ذكره ، و من هذه المعطيات الأولية تبين لنا أن كلا من نسخة مركز الملك آل سعود و نسخة الحرم المدني هما النسخة المختصرة عن المخطوط الأصلي الّذي أشار إليه صاحبه أحمد بن يحيى ملمحا إلى حجمه وعنوانه الموسوم ب**"الديوان"**في قوله: **((فجمعت من ذلك دررا تشهد النفوس بنفاستها، وغررا تذكرها القلوب بحاستها، ونظمته علقًا نفيسا في لبة الزمان، وجلوته عروسا في منصة هذا الديوان))**[1]، و كذلك ذكر أحمد بابا التنبكتي ت 1036ھ أنه وجد هذا الديوان كذلك في جزء على هيئة كراريس مما يعني أن بنية النص الأصلي للمخطوط هي في ديوان و كراريس و هما شكل مختلف عن المختصر ، ناهيك على إشارة أخرى تدل على أن ابن مريم قد استلهم عنوان ملخصه من مضمون النّص الأصلي، من خلال توظيفه لكلمة **" المنيف "** -والتي تعني المشرف على غيره و هي من ناف أي ارتفع و أشرف -، و ذلك في سياق قول أحمد بن يحيى ت 895ھ **"فنزلوا تلمسان واستوطنوها فكان لهم المنزل المنيف والقدر الشريف، يرثون الجلالة كابرا عن كابر"**[2] .

واعتبارا من هذه المقاربة فإنّ عنوان المخطوط الأصلي قد يكون **" الديوان"** أو **" المنزل المنيف والقدر الشريف في التعريف بأبي عبد الله الشريف وولديه "** ، مما يعني كذلك أن ابن مريم يكون قد احتفظ بالعنوان كما وجده في الأصل و أن كلا من نسخة مركز الملك آل سعود و نسخة الحرم المدني هما نسخة من تلخيص ابن مريم المديوني على لسان أحمد بن عبد الرحمن بن أبي يحيى ت 895ھ صاحب النص الأصلي .

4-طبيعة المخطوط:

يندرج المخطوط ضمن صنف مخطوطات الأدب المناقبي كما صرح مؤلفه أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى ت 895ھ في قوله:**"ورتبت الكتاب في عشر أبواب تضمنت جملة صالحة من المناقب والآداب".**[3]

وإذا كان الأدب المناقبي يتضمن عديد الأجناس من النصوص بين نص مناقب الصوفية ونص مناقب الفقهاء ونص المناقب السلطانية، فإن موضوع المخطوط جاء في "مناقب العلماء " واختص بالتعريف بثلاثة من العلماء ينحدرون اجتماعيا من أحد البيوتات بتلمسان وينتسبون إلى سلالة الشرفاء الأدارسة وينتمون علميا إلى المدرسة الآبلية نسبة لشيخها محمد بن ابراهيم الآبلي ت 757ھ، وهم: أبو عبد الله محمد الشريف ت 710ھ-771ھ ، وولداه عبد الله الغريق 748ھ-792ھ ،وأبو يحيى عبد الرحمن 757ھ-826ھ.

ويتميز نص مخطوط مناقب العلماء عن غيره كونه، لا يتبع وصف البنية الجسمانية والمأكل والمشرب واللباس والركوب ومجمل العلاقات الاجتماعية كما هو الحال في نصوص المناقب الصوفية والمناقب السلطانية وإنما جوهر تناوله ينصب في استعراض إنتاجهم العلمي ومنزلتهم.

في الوسط العلمي والفكري والثقافي وامتداداتهم في وسط الطلبة والمهتمين بالمعرفة ومجمل أشكال المثاقفة العلمية بينهم وبين أقرانهم من علماء تلمسان وإفريقية والمغرب والأندلس ومجالس علمهم بالمدارس والمساجد في بلاط السلطان،كما يحتفي أيضا بجوانب من التاريخ الإبستمولوجي للعلوم، من خلال ما يتوفر عليه من نصوص علمية هي في شكل أسئلة وأجوبة في حقول المنطق وعلم الكلام والفقه المالكي وعلم اللغة طرحت على هؤلاء العلماء وبالتالي تتيح نصوصها التأريخ للعلوم من زوايا المفاهيم ،تسعى هذه القراءة إلى توضيح جوانبها .

غير أن نقطة تقاطع نص مناقب العلماء مع نصوص مناقب الصوفية والمناقب السلطانية ومناقب الفقهاء في العهد الزياني يكمن في الصلة بالسلطان، فقد بات معروفا بل ومن التقاليد السلطانية أنْ صار كل سلطان خلف تأليف مصنف في المناقب، أضف إلى ذلك أن نص مناقب العلماء ينطوي على المضمر غير المصرح به والذي يروم مؤلفه في العادة تكريسه وتحقيقه لفائدة السيرة الذاتية للبيت العلمي الذي ينتمي إليه وفي المحافظة على المكاسب والهبات السلطانية، وهذه الوظيفة اضطلع بها المؤلف أحمد بن يحيى في تجسيده لفكرة الانتماء إلى بيت الشريف العلوي و إلى شريحة الشرفاء.

---

(1) المجموع :ورقة 3.

(2) المجموع: ورقة 5.

(3) المجموع: ورقة 4.

5-منهج المؤلف و أسلوبه في الكتاب المناقبية:

يعكس نص المخطوط طبيعة الثقافة العالمة التي يمتلكها أحمد بن أبي يحيى ت 895ﻫ فقد وضع النص المناقبي في سياق من الوقائع والأحداث والنشاط العلمي والديني بعيدا عن ظاهرة الخرافة والكرامات التي اعتدناها لصيقة بنص المناقب الصوفية والسلطانية،كلما تعلق الأمر بشيوخ وسلاطين الدولة الزيانية، وهذا يدل على تأثره بمسار جده أبي عبد الله محمد الشريف وعمه عبد الله الغريق ووالده أبي يحيى عبد الرحمن في الانتماء إلى المدرسة **الآبلية** التي جمع روادها بين العلوم الشرعية المتمثلة في أصول الدين وأصول الفقه والتعاليم أي الرياضيات والمنطق والطبيعيات كالطب والفلاحة والإلهيات –ما وراء الطبيعة –وهي كذلك المدرسة التي تنحل من أفكار أبي الوليد ابن رشد الحفيد ت 545ﻫ/1198م والفلسفة اليونانية وبالتالي تعطي العقل مكانة كبيرة في الحقلين الديني والاجتماعي ما جعل المفكر الجزائري عبد المجيد أمزيان يصفها **"الرُشدِيّة الجديدة"**[1].

وهذا ما يفسر عدم إسهاب مؤلف المخطوط في سرد الكرامات، كما أن خطابه ورد خاليا من الخرافة ومن هنا صرح في ثنايا مخطوطه عن منهجه في التأليف المتكون من:

أ-الطابع الأدبي:الذي تناول في ضمنه التعريف بشيوخ أسرته، وقد وصفه في قوله **:"فجمعت من ذلك درًرا تشهد النفوس بنفاستها و غررا تذكرها القلوب بحاستها، ونظمته علقًا نفسيا في لبة الزمان وجلوته عروسا في منصة هذا الديوان ورصعته من فوائد كلامه و عجائب من غرائب فتاويه وأحكامه لتكمل به الفائدة ...و لتكون رتبته من الفضل شاهدي"**[2].

ومن هنا كان الديوان أو المجموع ، لفظ مناسب لبنية ومضمون النص، فالمجاميع عادة ما تتميز في مضمونها بالثقافة العلمية والدينية الواسعة من عقائد و أصول وتوحيد ومناقب وفقه وتصوف وطبيعيات وإلهيات، فضلا على رصدها للمظاهر السياسية والعسكرية والاجتماعية في قالب من البيبليوغرافيا الواسعة، رغبة في التأصيل والإقناع، لذلك لا عجب أن أطلقت النخبة الكاتبة والعالمة في تلمسان على أعمالها المناقبية اسم "المجاميع" أو"الدواوين" مثل ابن مرزوق الخطيب ت 771ﻫ في مجموعه أو ديوانه حول " مناقب أسرة المرازقة" وابن صعد التلمساني ت 910ﻫ في عمله الموسوم ب**"النجم الثاقب"** ، وبالتالي فإن تسمية هذه المجاميع بالكتب المناقبية هو إنقاص من قيمة مضامينها المعرفية والتاريخية المتنوعة[3].

ب- التوثيق من الروايات الشفوية: شكلت الرّواية الشفوية المصدر الأساس بالنسبة للمؤلف في انجاز هذا المخطوط وفي مقدمتها روايات والده أبي يحيى عبد الرحمن في التعريف بوالده محمد الشريف، وفي ذلك يقول:**:" و لم أستق من كثير من تلامذته وآثاره، و إنما اقتصرت على ما سمعت من أبي حفظه الله، وذلك لأنه صاحبه كبيرا و مازحه صغيرا وكبيرا، و حفظ من أقواله وأفعاله وعجائب أحواله مالا يوجد عند أمثاله"**[4].

فضلا على اعتماده على بعض روايات شيوخ تلمسان وهم يعدون على الأصابع مثل :

-روايات الشيخ أبي يحيى المطغري التي استدل بها في ثلاثة مواضع من المخطوط في صيغة:"سمعت من شيخنا أبي يحيى المطغري[5]، وروايات الفقيه المحدث منصور بن هدية القرشي، وروايات عمه أبي محمد عبد الله الغريق عن طريق أبي الحسن علي المغربي و أبي العباس أحمد البجائي[6]، كما استخدم أيضا ألفاظ حدثني بعض أشياخي ،وحدثني من أثق به [7].

ج- اعتماده على أسلوب الاختصار في سرد الروايات،يعكس قوله:"**فاقتضبت من أخباره ما حضره عندما سألته وما أملاه علي عندما عرفته ...و إنما أتيت بنبذة تكفي اللبيب عن استقصاء الغاية** "[1]، ويبدو أن ذلك كان عن قصد لأسباب صرح بها وتتعلق بـ:

---

(1)-مدرسة الآبلي وانتشار الرشدية الجديدة، بالمغرب والأندلس، (مشروع قراءة جديدة لفلسفة ابن رشد)، في أعمال التراث الحضاري بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1972، ص 92.

(2)-المجموع: ورقة 7.

(3)-الطاهر بونابي: الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، الجزائر، 2008، 2009، هامش، ص ص 674، 675.

(4)-حول هذه الرّوايات أنظر المجموع: ورقة: 5، 6، 7، 10، 27، 39، 51.

(5)-نفسه، ورقة 10، 62.

(6)-نفسه، ورقة 10، 54،55.

(7)-نفسه، ورقة 5، 8، 73.

حجته في أن أخبار جده ووالده وعمه "أشهر من أن تشهر، وأعرف عند الناس من أن تذكر، ومن حاول تعريف المعرف، وتشريف الماجد المشرف ، فيجدر أن يعود بالتقصير ويرجع بصره على نور الشمس خاصيا حسيرا"[(2)]، فضلا على حالته النفسية لحظة الكتابة فقد كان فيما يبدو قلقا غير مستقر، و صرح بذلك "هذا ما حضرني ...مع شدة الاستعجال و ذهول العقل و شغل البال"[(3)].

6-دوافع تأليف المخطوط :

ألف أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895ه مجموعه بطلب من ولي نعمته السلطان أبي زيان محمد 796-801ه، الّذي كانت له محبة في بيت الشريف العلوي، فضلا على كونه تلميذا لأبي يحيى عبد الرحمن فقد **تحصل له ما تحصل من حبٍّ هذا البيت الشريف وراء له من كمال الفضل في الفرع والأصل القدر المنيف وعلم ما لأبوة شيخه –أبي يحيى عبد الرحمن- من الجلالة التي يقصر عنها التعريف طمحت نفسه العلية إلى التعريف بمناقبهم وتخليد شمائلهم الكريمة ومذاهبهم، ليطلع على كنه مشيخته ويعلم أسانيد روايته وسبل سيرتهم فيجعلها أس سيرته"**[(4)].

وإذا كان هذا مراد السلطان أبو زيان محمد، فإن أحمد بن أبي يحيى مؤلف المخطوط قد أبطن في ثنايا المخطوط دوافعه الخاصة التي تظهر من قوله:"ورجاء في عرفان شيخ أشياخي وبركته"[(5)]، أضف إلى ذلك أنه جعل من المناسبة فرصة أظهر فيها العلاقة الوثيقة التي كانت تجمع بين البيت الزياني الحاكم وشيوخ أسرته منذ عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني 760ه-791ه،فقد ذكر بما لهذا السلطان من علاقة حميمية بجده أبي عبد الله الشريف العلوي [(6)] وكذلك ما لأبيه أبي يحيى عبد الرحمن من الفضل على السلطان أبي زيان محمد.

7-ملاحظات حول بنية المخطوط ومضمونه:

عرف المؤلف بجده أبي عبد الله محمد الشريف 710-771ه، في تسعة أبواب وخصص الباب العاشر في التعريف بعمه أبي محمد عبد الله الغريق 748-798ه، وبوالده أبي يحيى عبد الرحمن 757-826ه، ، ولعلّ المؤلف أراد أن يعطي بيت أجداده العلماء الأشراف وزنا ثقيلا حينما ركز على جده أبي عبد الله محمد الشريف، إذ لم تشهد تلمسان والمغرب الأوسط عقب وفاة محمد بن إبراهيم الآبلي ت 757ه شخصية علمية نظيرة له مثل أبي عبد الله الشريف وريث المدرسة الآبلية، لذلك تناول حفيده سيرته الذاتية والعلمية والسياسية بدقة مفصلة تندر معطياتها الثمينة في المصادر الزيانية خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

ورغم أنّه جعل الباب الأول في نسب جده ومولده إلا أنّه انعطف إلى سرد مناقبه وتفاصيل تتعلق بمرحلة صباه وقراءته الأولى والمناخ العلمي الأول الّذي استنشقه بتلمسان وشذى به، فربط نسبه بأدارسة فاس العلويين والحموديين بالأندلس [(7)]، غير أنّه لم يتتبع تفاصيل حضور هذا البيت في تاريخ الأدارسة بفاس، والحموديين بالأندلس واختصر المشهد في عودتهم إلى المغرب خلال القرن الخامس الهجري /11م ونزولهم بتلمسان بعد سقوط دولة الموحدين و التي كانت بالنسبة لهم "**المنزل المنيف والقدر الشريف، يرثون الجلالة كابرا عن كابر و يتبرزون في صدور المنابر، حتّى طلع صدرهم وحبرهم وبحرهم أبو عبد الله"**[(8)] ،وكان قصد المؤلف ربط هذا البيت بالأدارسة الحموديين وتأكيد نسبهم الشريف إلى آل البيت[(9)]، هذا النسب الذي ظل متعارفا عليه بالمغرب الإسلامي و لم يكن يُسمح لأي كان بالطعن فيه ، بل أن عبد الرحمن بن خلدون اعتبر الطاعن فيه من اللغو فقد كانوا حسبه –أي بيت الشريف العلوي –في قوله : **"لا يدافعون في**

---

(1)-المجموع، ورقة 51.

(2)-نفسه، ورقة 51.

(3)-نفسه، ورقة 50.

(4)-نفسه:ورقة 3.

(5)-نفسه:ورقة 3.

(6)- نفسه :ورقة11.

(7)-المجموع، ورقة 4؛ حول نزول الحموديين من الأندلس إلى المغرب عقب مبايعة أهل مليلة لشريف محمد المستعلي سنة 459ه ، أنظر عبد الرحمن بن خلدون :العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العزم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج4، دار الكتاب اللبناني ، 1986، ص 335.

(8)-المجموع: ورقة 5.

(9)-نفسه :ورقة 5؛ الشائع في جل المصادر العهد الزياني أن تاريخ مولد أبي عبد الله محمد الشريف سنة 710ه، وليس 716ه كما ورد في المجموع،و هي من أخطاء الناسخ ، فقد أخبر الشريف العلوي ابن خلدون بمولده سنة 710ه. ابن خلدون: رحلته غربا وشرقا، ص 106.

نسبهم و ربما يغمز فيه بعض الفجرة ممن لا يزعه دينه و لا معرفته بالأنساب فيعد من اللغو و لا يلتفت إليه " [1] ، لذلك أصل حفيده أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895هـ لفكرة الشرف و الشرفاء من كتاب الغنية لأبي الفضل عياض مدعما موقفه و انتماء بيتهم إلي الشرفاء بالحديث النبوي "معرفة آل البيت براءة من النار و حب آل محمد جواز على الصراط و الولاية لآل محمد آمار من العذاب "[2]

8-النشاط الديني والعلمي لبيت الشريف العلوي بتلمسان:

تعتبر المعلومات الواردة في المخطوط حول النشاط الديني والعلمي لأبي عبد الله الشريف العلوي وولديه أبي عبد الله وأبي يحيى غنية وثمينة كون الكثير من الأخبار حول هؤلاء لا تتوفر في المصادر الزيانية والمغربية المعاصرة لهم وإنْ توفرت فهي ليست بنفس التفاصيل التي أوردها أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ،فيها جاء التركيز كثيرا على المكانة العلمية لأبي عبد الله الشريف العلوي.

أ-شيوخه و علومه :

تدل المعلومات الواردة في المخطوط أن منزلة أبي عبد الله الشريف العلوي (710-771هـ)الدينية والعلمية قد ارتبط مصيرها بالمشيخة العلمية التلمسانية التي درس عليها والتي كان قد ذاع صيتها في الغرب الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري /14م.

فقد عاش في "**حجر العفة و الصون** "[3] مما سمح له بمزاولة دراسته تحت رعاية خاله الشيخ الصالح أبي محمد عبد الكريم بن عبد الكريم الذي "**تفرس فيه النجابة وكان يحبه حبا شديدا** "[4] لذلك تخير له من هذه المشيخة التلمسانية كُلاً من الشيخ الصالح المبارك أبي زيد عبد الرحمن بن يعقوب الذي أقرأه القرآن .."**في أسرع وقت وجوّد حفظه"**[5] ولما بلغ من العمر إحدى عشرة سنة (ابتدأ الإقراء فأخذ عن الشيخين الإمامين أبي زيد عبد الرحمن ت 743هـ وأخيه أبي موسى عيسى ت 749هـ ، "**وكانوا من جلة العلماء وبقية من السلف العظماء... فاستفاد منهم وانتفع"**[6]

كما أخذ كذلك في بدايته عن بقية صالحة من أشياخ بلده، وغيرهم ممن قدم عليها كالفقيه الإمام القاضي أبي عبد الله محمد بن هدية القرشي والولي الصالح العالم أبي محمد عبد الله المجاصي والقاضي أبي عبد الله محمد بن أبي عمر التميمي وأبي عبد الله محمد بن محمد البروني وأبي موسى عمران الشاذلي والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد النور والشيخ القاضي أبي العباس أحمد بن الحسين والقاضي أبي الحسن علي بن الرماح وأبي عبد الله محمد بن النجار المنجم"[7].

ورغم أن حفيده أحمد بن يحيى ت 895هـ لم يخبرنا حول نوع العلوم التي تلقاها عن هؤلاء لكن باعه في الفقه وتفسير القرآن وعلومه والحديث وأصول الدين واللغة والأدب والتاريخ والمذاهب والتصوف تكشف عديد العلوم النقلية التي اكتسبها من شيوخه، إلا أنه يميل إلى التركيز على الأثر العلمي الكبير الذي خلفه ابنا الإمام علي الشريف العلوي في هذه المرحلة الأولى من تعليمه في قوله :" **استفاد منهم وانتفع وطلع في فلكهم بدره وانشرح للعلم فيه صدره وقوى فيه أمره فكانت نَكْتُهُ تحفظ وألفاظه تلتقط** " [8]لذلك صار " **الطلبة يأتونه ألواحهم وينتظرون خروجه من الدولة فيفسرها لهم"**[9].

---

(1) – رحلته غربا و شرقا ، ص 105.

(2) -المجموع :ورقة 4.

(3)-نفسه، ورقة5.

(4)-نفسه، ورقة 5.

(5)-نفسه، ورقة 7،5.

(6)-نفسه، ورقة 6،5.

(7)-المجموع ، ورقة 6.

(8)-نفسه، ورقة 6

(9)-نفسه، ورقة 6.

ورغم أنه كان لا يزال طالبا للعلم إلا أنه لقي الاحترام والتبجيل من قبل شيوخه فقد كان **"كلهم يُعظمهُ ويُجله ويُثني عليه ويَشهد له بالعقْل الوافر والذهن الحاضر وفك المشكل وحل المقفل و إيضاح المجمل "**[52)(1] بل أن القاضي أبا علي منصور بن هدية القرشي (الابن) خصه يقول **"كل فقيه في زماننا هذا أخذ ما قدر له من العلم ووفق إلا أبو عبد الله الحسني فإن اجتهاده يزيد"**[2]

كما صور لنا حفيده أيضا رحلته إلى بجاية وتونس سنة 740هـ ، وكيف كان يكاتب شيخيه ابني الإمام بشأن محاورته مع علماء بجاية حول كتابة ابن الحاجب التي أعجب بها واستحسنها **"وصارت عندهم أُحْجُيَاتٌ يخبرون بها من أذعن معرفة ذلك الكتاب"**[3]

ولما عاد إلى تلمسان **"عظم قدره وأقر العلوم مع أشياخه... وأقبل عليه الطلبة "**[4] وكل ذلك قبل لقائه وقراءاته على أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي ت 757هـ وبهذا يكون حفيده قد اعتبر مرحلة ما قبل لقاء الشريف العلوي بالآبلي مرحلة لتكوينه في العلوم النقلية بينما تمثل المرحلة الثانية من تكوينه على يد الآبلي في تلمسان مرحلة للعلوم العقلية.

ب-لقاء الشريف العلوي بالآبلي:

جعل أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ من هذا اللقاء فاصلا مُهما في المسار الديني والعلمي للشريف العلوي بل وللحياة الدينية والفكرية بتلمسان إجمالا، فاعتنى بحدث عودة الآبلي من المشرق وما اكتسبه في هذه الرحلة من لقاءات جمعته بأهل العلم في الآفاق، فقد دخل العراق و لقي من كان به من العلماء وأخذ عنهم وحصل البغية منهم "[5] على حد تعبيره .

غير أن هذا الخبر اختلفت بشأنه المصادر المعاصرة للآبلي في القرن 8هـ/14م . فبينما تنهض رواية يحيى بن خلدون ت 780هـ متطابقة مع رواية أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ ، في كون الآبلي قد دخل العراق ولقي به وبغيره من بلاد المشرق العلماء وأخذ عنهم وعاد إلى تلمسان[6] تنهض رواية عبد الرحمن بن خلدون نقيضا صريحا كونه استقى أخبار هذه الرحلة عن شيخه الآبلي مباشرة في أثناء التلقي عليه قد خالفها الرأي وأورد بأن شراب الكافور الذي اغترفه الآبلي على متن السفينة حياءً من شدّة الغلمة بالاسكندرية قد أذهب عقله ولم يعد يميز وأخبره بأنه استمر به الحال كذلك في مصر والعراق والحجاز إلى حين عودته إلى تلمسان وكل ذلك صوره في قوله :" **وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها يومئذ تقي الدّين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفي الدين الهندي والتبريزي وابن البديع وغيرهم من فرسان المعقول والمنقول فلم يكن قصاراه إلا تمييز أشخاصهم إذا ذكرهم لنا لما كان به من الاختلاط "**[7].

و لا ريب في أن رواية عبد الرحمن بن خلدون تطرح عديد الأسئلة تصب في خانة التستر و التكتم على تجربة شيخه الآبلي في هذه المرحلة و التي لا يناسب البحث في الخوض فيها إلا من باب أن المقارنة بين هذه الروايات ما هي سوى التأكيد على أن حفيد الشريف العلوي أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ قد أعطى لعودة الآبلي من المشرق أهمية كبيرة ، ثم إنه لم يشر إلى رحلته المهمة كذلك إلى المغرب و التي تلقى أثناءها العلوم العقلية على يد ابن البناء المراكشي ت 721هـ و هي الرحلة التي ارتقت بالآبلي إلى مصاف شيخ المغرب الإسلامي في العلوم العقلية في عصره ، فقد وصف عبد الرحمن بن خلدون هذا اللقاء في قوله **:" و نزل على الإمام أبي العباس بن البنا شيخ المعقول و المنقول و المبرز في التصوف علما و حالا ، فلزمه و أخذ عنه و تضلع من علم المعقول و التعاليم و الحكم ...وورث مقامه فيها و ارفع"**[8]

لقد كان من شأن هذا اللقاء أن صب ابن البنا المراكشي ت 721هـ في الآبلي "كيفية التوفيق بين الثقافة العقلية و الثقافة النقلية و في توظيف المنطق بتصوراته و تصديقاته و براهينه لضبط قوانين البلاغة العربية وكذلك الرياضيات و خصوصا نظرية التناسب في البلاغة و في التوحيد و التصوف و بمعنى أدق توظيف الآليات المنطقية و الرياضية لضبط التأويل تفاديا للفرقة ونشدانا لتوحيد العقيدة و المذهب و الطريقة "[9]

---

[1]- نفسه، ورقة 11.

[2]-) نفسه، ورقة 10.

[3]- نفسه، ورقة 7.

[4]- نفسه، ورقة 6.

[5]- المجموع، ورقة 11.

[6]- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج1، تقديم و تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية ، الجزائر ،1980، ص 120.

[7]- رحلته غربا وشرقا، ص 81.

([8] – رحلته غربا و شرقا :ص 814.

([9] محمد مفتاح : كتابة التاريخ بين الفطريات و المحيطات ،(ضمن كتابة التواريخ)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط المغرب ،1999، ص 17.

ورغم ذلك يبقى نص أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ مهما و نادرا على صعيد التعريف بالآبلي والكيفية التي درس بها الشريف العلوي عليه،رغم عدم الإشارة إلى رحلة الآبلي إلى ابن البنا .

فقد بين لنا الكيفية التي جعل بها الآبلي تلميذه الشريف العلوي صاحب موسوعة علمية ،"**جامعا لكثير من العلوم العقلية والنقلية القديمة والحديثة ...مائلا إلى النظر والحجة أصوليا متكلما وعالما بأيام الله جاريا على نهج السلف**" [1]،كما أشاد بطريقة الشريف العلوي و حسن استفادته من الآبلي في قوله: "**أخذه..بكلتي يديه وانقطع له وأقطعه إليه حتى أشرب صفوه وأورد شأوه فانتفع به انتفاعا عظيما وأخذ عنه علما جليلا ...كان يقرأ عليه أولا مع الناس ثم رجع يقرأ عليه مع خواص أصحابه ثم انقطع معه وأغلق عليه بابه وبقي من ذلك مدة ثم خرج أبو عبد الله وقد سكن قلقه واطمأنت إلى العلم نفسه** "[2].

وقد أدرك الآبلي نجابة تلميذه الشريف العلوي فكان "**يحبه ويثني عليه ويعظمه ويقول اقرأ على خلق كثير في الآفاق فما رأيت مثل أربعة وأبو عبد الله أكثرهم تحصيلا وأوفرهم عقلا**"[3] ، لذلك سمح له بإقراء الطلبة بمحضره ، و هذا دليل على أن أبا عبد الله الشريف العلوي قد جلس على كرسي الآبلية وشيخه لا يزال حيا وفي نصوص أخرى يكشف لنا حفيده كذلك عن حجم الموسوعية في العلوم العقلية التي كان أبو عبد الله الشريف قد استوعبها عن ابني الإمام ومحمد بن النجار المنجم والآبلي، لقد جعل منه هؤلاء: "**عالما بالعلوم العقلية كلها إماما فيها عالما بالمنطق والحساب والفرائض والهندسة والهيئة ومعرفة آلات التنجيم والمساحة وعلم الموسيقى وعلم الطب والتشريع والفلاحة وكثير من العلوم القديمة والحديثة**[4].

وإلى جانب ذلك يلفت حفيده نظرنا أيضا إلى أن اعتناءه بالطلبة وبث العلم في الصدور واخراج الناس من الظلمات إلى النور كان من أولوياته، مما جعله قليل الإقبال على التأليف وحسبنا من مؤلفاته القليلة "**شرحه على جمل الخونجي** " في المنطق، وكتاب "**المغالطات**"[5]، الّذي ورد كذلك بعنوان" **مثارات الغلط في الفقه**"[6]، وتأليف في الحديث اقتضبه من الصحاح[7]، وكتاب القضاء والقدر الّذي أجاد إيراده وإصداره وقدر الحق مقداره واقتدر على التعبير عن تلك العلوم الغامضة والمعاني الرقيقة بالكلام الجزيل الفصيح والألفاظ الرشيقة[8]، بالإضافة إلى كتابه " **مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول** "، وكُتُبِ نظره في التفسير[9].

ورغم أن حفيده لم يسعفنا بنصوص من هذه المؤلفات لكنه أفادنا بالأثر الذي خلفته، وحسبنا أن كتابه في شرح جمل الخونجي "اِعْتَنَى به اعتناء عظيما وانتفع به العلماء وأكب الطلبة في الآفاق على قراءته ونسخه والانتفاع به فكثر وانتشر وعُول عليه ورجع إليه"[10].

كما أن تكوينه على يد شيوخ كبار العلوم النقلية كما أسلفنا أمثال: محمد بن هدية ومحمد المجاصي وأبي عمرو التميمي ومحمد البروني ومحمد بن عبد النور وعلي بن الرماح ، وابني الإمام قد جعل منه كذلك من أبرز علماء العلوم النقلية في زمنه.

فقد فسر القرآن في خمس وعشرين سنة [11]وتحول إلى إمام وقته في فهم الحديث وغريبه ومشكله و مختلفه و صحيحه و عليله وحفظ رجاله ومتونه وجميع أنواع علومه [12].

---

(1)- المجموع: ورقة 6، 7.
(2)- نفسه، ورقة 7.
(3)- نفسه، ورقة 7.
(4)- المجموع، ورقة 27.
(5)- نفسه، ورقة 27.
(6)- نفسه، ورقة 31.
(7)- نفسه، ورقة 60.
(8)- نفسه، ورقة 20.
(9)- نفسه، ورقة 61.
(10)- نفسه، ورقة 27.
(11)- نفسه، ورقة 11.
(12)- نفسه، ورقة 11.

وكذلك نبغ في علم اللغة "**فكان أعلم الناس باللسان العربي وأجمعهم لعلومه محصلا للأدب،عربيا نحويا وكان في البيان آية من آيات الله محصلا لبدائعه ممهدا لشرائعه... حافظا للغة ...والشعر والمثل وأخبار الناس ومذاهب الأمم عارفا بأخبار الملوك وتنقل الدول وأيام العرب وسيرها وحروبها ومقاتل فرسانها، ذاكرا لأخبار الصالحين وسيرهم وأخبار الصوفية ومذاهبهم وإشاراتهم** "[1].

أما في الفقه وأصول الدين فقد صنفه حفيده من "**الأئمة الفقهاء المالكية و مجتهديهم ..قائما على الفروع والأصول والتثبت والتحصيل عالما بالأحكام واستنباطها قوي الترجيح سديد النظر متورعا في الفتوى متحريا**"[2]، وخصوصا في أمور الطلاق وكثيرا ما كان يدفع الفتوى عن نفسه، أما في أصول الدين فقد كان "**قائما بالحجة بصيرا بالبرهان وعلومه صحيح النظر كثير الذب على أهل السنة والنظر لأهل الحق عارفا لمذاهب الفرق وحجة الخصوم قويا على الشبهة وإبطالها وإزاحة أشكالها ...كثير التمسك بالسلف في كتم أسرارها وحفظ مهاويها وأغوارها حسن البسط في تواليفها**"[3] ومن ذلك كتابه مفتاح الأصول في بناء الفروع على الأصول " **طبق فيه المسائل الفقهية مع الأصول فأتقن فيه بما بهر العقول**"[4].

ج-دور الشريف العلوي في تربية و تعليم ولديه (أبي محمد عبد الله و أبي يحيى عبد الرحمن)

يتضمن المخطوط كذلك نصوصا وفيرة حول جهود أبي عبد الله الشريف العلوي في تربية وتعليم ولديه بتلمسان وإفريقية و فاس، فكانت تجربته الأولى مع ابنه البكر أبي محمد عبد الله الغريق حيث أشرف على تدريسه بفاس في فترة تواجده بها خادما عند السلطان أبي عنان فارس بين 753هـ-759هـ، و اختار له لتعليمه وتكوينه من الشيوخ الفاسيين كلا من : الشيخ محمد بن براء الذي لقنه القرآن و النحو كتاب الزجاجي وألفية ابن مالك و الشيخ أبو عبد الله محمد حياة الذي درس عليه جمل الزجاجي والمقرب لابن عصفور ،وسيبويه،فضلا على كتاب البخاري عن محمد بن مرزوق التلمساني [5].

ويبدو أن أبا محمد عبد الله الغريق كانت له رحلة إلى إفريقية أخذ خلالها كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب ورسالة ابن أبي زيد،والكيفية في أصول الدين عن أبي العباس القباب، وكتاب ابن الحاجب الفرعي عن أبي العباس الشماع، بالإضافة إلى كتب موطأ الإمام مالك ، والتهذيب والحاجب الفرعي عن أبي العباس أحمد بن الحسن[6]، ومن هنا يكون تكوينه القاعدي قد حدث بفاس وإفريقية و اقتصر فيه على النحو والفقه والقرآن والحديث، بينما تكوينه المتين كان بتلمسان على يد والده أبي عبد الله حيث يمثل ذلك انخراطه في فلك المدرسة الآبلية، فقد لقنه من كتب الأصوليين المتأخرين: كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، وشفاء الغليل والمقاصد وميزان العمل للغزالي، والمحصل لفخر الدين الرازي وكتابه مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول، والنجاة والطبيعيات والالهيات من كتاب الإشارات لابن سيناء، وكتاب التلخيص في الجدل المقترح للهروي، و الهندسة من كتاب اقليدس، والمنطق من خلال جمل الخونجي والتي قرأها وشرحها عديد المرات، فضلا على كتاب مطالع الأنوار لسراج الدين الأموي.

كما سمع منه كتاب البخاري وكتاب مسلم بروايته عن أشياخه الحجازيين وغيرهم ، ناهيك على الأحكام الصغرى في الفقه لعبد الحق الاشبيلي، والسيرة لابن إسحاق، و كتاب الشفا للقاضي عياض،و في تفسير القرآن أقرأه على كتبه ليلا و كان يباحثه في مظانها[7].

أما ابنه الأصغر أبو يحيى عبد الرحمن فقد "**اعتنى به اعتناء عظيما وجد في تربيته وتعليمه ... وكان يضجعه على ساعده كل ليلة ويلقنه ذكرا يذكره حتى ينام**"[8]

و بعد تحفيظه للقرآن الكريم رتب له كتبا حفظها مثل كتاب التقصي لأحاديث موطأ الإمام مالك وألف له في الحديث تأليفا في الصحاح، كما درسه من كتب محمد بن أبي بكر بن برّي التلمساني ت 681هـ كتابه في القراءات [1]وكتاب عمدة الحافظ لابن مالك، وكتاب

---

[1]- المجموع، ورقة 26.
[2]- نفسه، ورقة 26.
[3]- نفسه، ورقة 27.
[4]- نفسه، ورقة 26.
[5]- نفسه :ورقة 53.
[6]- المجموع، ورقة 53.
[7]- نفسه، ورقة 54.
[8]- نفسه، ورقة 54.

ابن الحاجب وكتابه مثارات الغلط وكتاب السيرة لابن اسحاق وكتاب موطإ مالك، والشفاء للقاضي عياض وفي التصوف شرح أسماء الله الحسنى للقشيري [2] و إلى جانب ذلك بث فيه أسلوبه وطريقته في فهم العلوم و تفسيرها "من الحقائق والنُكت و المزايا...مامكنّه من مفاتيح كنوزه وأطلعه على الأسرار ورشحه لمعارج الرتب ...واستوى على سواء السبيل ونهج الطريق "[3]

د-جهود أبي محمد عبد الله الغريق في تعليم أخيه أبي يحيى عبد الرحمن

تظهر نصوص المخطوط أن أبا يحيى عبد الرحمن قد لزم مجلس أخيه أبي محمد عبد الله بالمدرسة اليعقوبية بعد وفاة والده أبي عبد الله الشريف وأخذ عنه واستفاد من علومه "و قرأ عليه كتبا كثيرة منها في علم النحو كتاب عمدة الحافظ لابن مالك ، وكتاب الإيضاح لأبي علي وكتاب أبي القاسم الزجاجي وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك وكتاب المقرب لابن عصفور و الجزولية في الإعراب وأعرب عليه جملة صالحة من كتاب الله العزيز ، وفي الحديث كتاب الأحكام الصغرى لعبد الحق وختم عليه رسالة بن أبي زيد وقرأ عليه في الأصول كتاب ابن الحاجب وكتاب الساعاتي للحنفية والتنقيح للقرافي، والمعالم الفقهية للإمام فخر الدين الرازي، والاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي والإرشاد لإمام الحرمين وفي الجدّل كتاب المقترح للهروي، وفي المنطق جمل الخونجي، وشرح الجمل لأبيه أبي عبد الله الشريف، ومطالع الأنوار لسراج الدين الأمعري وفي البيان كتاب إيضاح الجلال وكتاب تلخيص المفتاح وفي الحساب كتاب تلخيص ابن البنا وفي الهندسة ثمان مقالات من كتاب اقليدس وفي الهيئة ابن الهيثم والريحاني[4] .

ولما كان الشيخ العالم سعيد بن محمد العقباني أحد أعمدة المدرسة اليعقوبية في التفسير والفقه فقد أخذ عنه كتاب ابن الحاجب والإيضاح للفاسي وجمل الخونجي وحضر تفسيره للقرآن [5]فضلا على انتفاعه في علم اللسان عن أبي عبد الله محمد بن حياتي الغرناطي حيث أخذ عليه جمل الزجاجي وختم عليه مقرب ابن عصفور وتسهيل الفوائد ولب الألباب لابن مالك وكتاب سيبويه[6] ، وفي علم الحديث أخذ كتاب مسلم بن حجاج وكتاب الشفا للقاضي أبي الفضل ، عن الفقيه العالم أبي القاسم بن رضوان[7] .

هـ-النشاط العلمي لأبي محمد عبد الله الغريق وأخيه أبي يحيى عبد الرحمن:

بعد وفاة أبي عبد الله الشريف العلوي قام بالدرس بالمدرسة اليعقوبية ابنه عبد الله الغريق الذي درس بهذه المدرسة برسمه ورسم أبيه، فتقاطر عليه الطلبة من الآفاق وخصوصا البجائيين منهم[8] ، وكان توزيع مواد تدريسه على النحو التالي:

من الصبح إلى قرب الزوال يقرأ الطلبة القرآن الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، وفي فصل الصيف كان يقرأ العلوم العقلية وأصول الفقه والبيان والعربية وسائر العلوم ، فكان **(يقطع جميع نهاره في ذلك، لا يفتر عن الإقراء غالبا إلا في أوقات الصلاة)**[9] ، وكان الطلبة يردون عليه طائفة بعد طائفة، ولما ضاق عليهم الوقت وتشاحوا فيه فاقتسموا الزمان بالرملية[10] ، وقد لفت المؤلف نظرنا إلى أن التوافد الكبير على المدرسة لم يكن من أجل القراءة وحسب ولكن لقوة مرتبها [11] ، لذلك أمر السلطان (باختيار الطلبة وتمييز أهل النجابة منهم فكان اختيارهم يتم في حضرته، وبحضور شيوخ المدرسة اليعقوبية وكان من بينهم الفقيه القاضي الخطيب سعيد العقباني[12] ، ثمّ إن السلطان لما سمع من علم

---

[1]- حول مؤلفات محمد بن أبي بكر بن بري التلمساني .أنظر محمد بن عبد الملك المراكشي : الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، القسم الأول ،(السفر الثامن)، تحقيق محمد بن شريفة ، ط1 ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ، 1984، ص 280.

[2]-نفسه، ورقة 59.

[3]-نفسه، ورقة 60.

[4]-المجموع، ورقة 60-61.

[5]-نفسه، ورقة 61.

[6]-نفسه، ورقة 61.

[7]-نفسه، ورقة 62.

[8]-المجموع ،ورقة 55.

[9]-نفسه، ورقة 55.

[10]-نفسه، ورقة 55.

[11]-نفسه، ورقة 55.

[12]-نفسه، ورقة 55.

أبي محمد عبد الله بالمدرسة أمره بالشروع في دروس التفسير كما كان أبوه من قبله (**فقام بعلوم التفسير وسلك سهولة التعبير وتجنب ما لا يصح من الحكايات والأخبار التي يرد عليها النقد والإنكار... واقتبس الأحكام من مآخذها، ورتب الشرائع في مواردها...**)[1] .

وكذلك عايش المؤلف النشاط العلمي لوالده أبي يحيى عبد الرحمن بالمدرسة اليعقوبية أيضا ونهل عنه مع جمهور الطلبة الّذين كانوا (**يردون عليه أفواجا كهولا وأحداثا يقتبسون منه سائر أنواع العلوم فيجدون عنده البغية**)[2].

فقد كان له في اليوم " **ثمانية دول ونحوها، تقرأ كلّ طائفة ما أرادت من علوم من أصول وعربية وتوحيد** "، ولما مرض أخوه أبو محمد عبد الله قدمه للجلوس في مجلسه الّذي هو مجلس والده أبي عبد الله الشريف سنة 784هـ، فكان من شأن ذلك أن حافظ على طبيعة المواد التي كانت تقرأ في هذا المجلس في زمن أبيه وأخيه، لذلك كان الأشياخ من طلبة والده الشريف العلوي يحضرون دروسه في الحديث وقراءة الأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي، كما كانوا يسمعونها من والده من قبل فكانوا **"يعجبون بما أتاه الله من ذكاء العقل وسداد النظر وسهولة التعبير، وفصاحة المنطق وحُسن الترتيب... وقد سَلم من التلجْلُج والتوقف والتعسف والتكلف وسلك نهج أبيه حذوا النعل بالنعل"**[3]

وقد أضاف عبد الله بن أبي عبد الله محمد الحسني إلى مخطوط أحمد بن يحيى، جانبا من نشاط أبي يحيى عبد الرحمن في تلقين السلطان أبي زيان محمد من العلوم، فقد(**اختاره لنفسه النفيسة ... ليكون قريبا صالحا وإماما هاديا وحجة قائمة ودليلا مرشدا وأقبل عليه بكليته وصرف وجهه لجهته وفرغ قلبه من غيره وملأه من ينابيع حكمته فأخذ عليه أصول العلم وفنونه وأسانيده ومتونه وحيله مكنونة وأسس عرفانه... وسهل سبيله وأرشده فأخذ عليه علم التوحيد وأخرجه من دركات التقليد إلى درجات التحميد ومسكه من البراهين اليقينية والقطعية بالعروة الوثقى والحبل الشديد**)[4] فلقنه كتاب المعالم الدينية للإمام فخر الدين ومن الحديث موطإ الإمام مالك تفقها وفي العربية ألفية ابن مالك، والمقرب لابن عصفور وجمل الزجاجي وفي البيان إيضاح الجلال للقزويني(**إلى غير ذكر من الكتب وانتفع به انتفاعا عظيما ...وظهرت عليه بركة العلم وأنوار الحكمة وانتفع به العلماء والطلبة و الصلحاء مشرقا ومغربا واستعانوا به على العلم والعمل**)[5]

ومن هنا أصبح السلطان أبو زيان أحمد بوساطة شيخه أبي يحيى عبد الرحمن ضمن فلك الأبلية.

9- مكانة بيت الشريف العلوي العلمية بالغرب الإسلامي:

و إلى جانب النصوص السابقة ورد في المخطوط كذلك من النصوص ما يؤكد على ذيوع شهرة بيت أبي عبد الله الشريف العلوي ت 771هـ العلمية بالغرب الإسلامي ، والتي بلغت أوجها في زمنه ، فقد كان إلى جانب كونه مَعلَمًا في شبكة العلماء المنتمين إلى الأبوة الآبلية بالمغرب الإسلامي،فإنه كذلك ارتبط في علاقات ثقافية وفكرية بالنخب الكاتبة والعالمة بالغرب الإسلامي رصد لنا حفيده أحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت 895هـ جانبا مهما منها: فقد كان علماء الأندلس على حد وصفه من أعرف الناس بقدره وأكثرهم تعظيما له حتى كان الشيخ العالم الشهير لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب ت 776هـ **ذو الأنباء العجيبة و التواليف البديعة** كلما ألف تأليفا بعث به إليه و طلب منه أن يكتب عليه بخطه "[6] أي كان يطلب من أبي عبد الله الشريف تقييما وتصويبا لأعماله، كما كان فقهاء الأندلس يرسلون إليه المسائل الفقهية ويطلبون الفتوى ورأيه فيها. ومن القرائن أن **"الشيخ الإمام المفتي الصدر أبا سعيد فرج بن لب شيخ علماء الأندلس ...كلما أُشْكلت عليه مسألة كاتبه بها وطلب بيان ما أشكل عليه معترفا له بالفضل** "[7]وقد بعث إليه عند نهاية سنة 769هـ بجملة من الأسئلة في قضايا الإيمان والتقليد في الإفتاء من المدونات المالكية التقليدية، والتي أجاب عليها الشريف العلوي وأحاط بتفاصيلها، ويمكن نعتها إجمالا بالأسئلة الغرناطية والأجوبة التلمسانية [8] . وهي ليست بالمثاقفة الفريدة بين الطرفين فقد درج الغرناطيون خلال القرنين 8و9 الهجريين 15/14

---

(1)- نفسه، ورقة 56.

(2)- نفسه، ورقة 61.

(3)- المجموع : ورقة 61.

(4)- نفسه،ورقة 74،75.

(5)- نفسه ،ورقة 75.

(6)- نفسه ،ورقة29.

(7)- المجموع، ورقة29.

(8)- نفسه: ورقة 29-32.

الميلاديين على الاهتمام بمؤلفات التلمسانيين و أجوبتهم الفقهية و حسبنا من القرائن .اهتمام جيل من الغرناطيين عاشوا في الثلث الأخير من القرن الثامن الهجري /14م و الثلث الأول من القرن التاسع الهجري /15م بمؤلفات شيخه محمد بن منصور بن هدية القرشي التلمساني ت 736ه [1] فضلا على إرسال أسئلتهم إلى علماء تلمسان وتونس ، يبحثون على أجوبة منها أجوبة ابن مرزوق الحفيد على أسئلة أبي القاسم بن السراج الغرناطي الموسومة بـ **(المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج)[2]** ، وكذلك الأسئلة الغرناطية والأجوبة التونسية التي بعث بها فقيه غرناطة محمد المواق ت 897ه إلى محمد الرصاع 894ه [3].وكلها تعكس مدى حضور الثقافة الدينية والأدبية والعلمية لعلماء تلمسان في غرناطة خلال هذه الفترة من عمر العصر الوسيط .

أما حول منزلته ونشاطه في تونس الحفصية والمغرب المرينية فقد أخبرنا حفيده عن رحلة مبكرة قام بها إلى الفضاء الحفصي سنة 740ه اطلع فيها على مستوى الحياة الدينية والفكرية واحتك بعلمائها، حيث هاله ازدهار الحياة العلمية في بجاية التي وجد بها "**وفرا عظيما من العلماء فجلس مجلسهم وتكلم في مسألة من كتاب ابن الحاجب فقال له بعضهم أن ابن الحاجب عندنا اليوم يقرؤه الصبيان فسألهم فيه أسئلة عجزوا عنها فاشتهر أمره وطار كل مطار ذكره**"[4].

ولما وصل تونس لزم مجلس العالم الفقيه ابن عبد السلام شارح ابن الحاجب الفرعي فكان يقرأ عليه بداره[5] وخلالها اندهش ابن عبد السلام من غزارة العلم عند أبي عبد الله الشريف وعلق بقوله:"**ما كنت أظن أن في المغرب مثل هذا)** [6] .

كما أعجب به فقيه إفريقية ابن عرفة وخصه بالثناء عند خروجه لتوديعه على عادة علماء المغرب في الخروج لتوديع بعضهم البعض فقال له: " **يعز علي أن أفارقك، ولا عرفت غايتك في العلم"** [7] ولما ورد خبر موته إلى تونس قال:"**لقد ماتت بموتة العلوم العقلية** "[8].

ولا شك أن علماء إفريقية قد استكشفوا مدى تفرد أبي عبد الله الشريف في عصره بالعلوم النقلية والعقلية حتى أن ابن مرزوق الخطيب ت 781ه علق على رحلة أبي عبد الله الشريف إلى تونس لقوله:"**أحمد الله على رؤية أهل إفريقية مَنْ بالمغرب".**[9]

ولم تكن صلاته بالفضاء الحفصي مقتصرة على فقهاء تونس وحسب بل أن تواصله كان أيضا مع تلامذة الآبلي بتونس والتي تمثل الامتداد الفكري والعقلي للمدرسة الآبلية نحو الشرق.

وحسبنا جملة من الإشكاليات الكلامية والفلسفية بعثها أبو زكريا يحيى الرهوني التوزري أحد تلامذة الآبلي إلى أبي عبد الله الشريف يبحث لها عن تفسير وتوضيح وتتعلق موضوعاتها بالمستشكلة:

أولا: بقولهم الموجبة تستدعي وجود الموضوع محققا في الخارجية ومقررا في الحقيقة و السالبة لا تستدعيه.

ثانيا: من جانب الفلاسفة ويتعلق بقدم العالم .

ثالثا: أن العلم بوجوده تعالى يتوقف على إبطال التسلسل في الأسباب.

رابعا: بالأدلة وهي راجعة إلى الكلام النفسي وهو نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم والعلم بالنسبة ضروري ونحن نمنع ضروريته بل صحته"[10].

---

[1]- من هؤلاء القاضي أبو البركات ابن الحاج والفقيه أبي عبد الله بن بقي.أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المنتوري: فهرسة المنتوري، تحقيق محمد بن شريفة، ط1، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعلماء، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2011، ص378.

[2]- أبو العباس أحمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،ج5،تحقيق إحسان عباس ،دار صادر بيروت ، 1988،ص 729.

[3]- تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007، ص ص 87، 221.

[4]- المجموع :ورقة 7.

[5]- المجموع ،ورقة 12،13.

[6]- نفسه ،ورقة 9.

[7]- نفسه: ورقة 10.

[8] –نفسه ،ورقة 10.

[9]- نفسه،ورقة 10.

[10]- نفسه،ورقة 21،23.

وقد أجاب على هذه الاشكالات التي حفظ لنا حفيده أحمد بن أبي يحيى نصوصها الكلامية والفلسفية معلقا على أهميتها في قوله :" **فأوضح مشكلها وحل مقفلها وسأتلو عليك بديعها وأوردك مشارعها لتستفيد نكتها و تَسمع بلاغتها...وأنت ترى ما فيها من التحقيق والإنصاف و محاسن الأوصاف...**"[1]

ولما نقله السلطان المريني أبو عنان من تلمسان إلى حاضرة دولته بفاس قصرا سنة 753ه عاش ظروفا علمية استثنائية رغم الشروط المادية التي وفرها له حيث أجزل في إكرامه وإكرام أهل بيته، وقد تمخض عن هذه المدة التي قضاها بفاس بين 753ه-759ه.

إلى أن صار صاحب مكانة بين علماء فاس وشيخا لجمهور من الطلبة الذين تكونوا على يديه من الفاسيين و السجلماسيين وغيرهم ،كما خصه أبو عنان في مجلسه العلمي بداره إلى جانب القاضي أبي عبد الله محمد المقري و أبي عبد الله القشتالي وابن مرزوق الخطيب.فكان هؤلاء يجلونه لعلمه ويحترمونه وحسبنا الاكتفاء برواية ساقها لنا حفيده تعكس منزله بين أقرانه : و مفادها "**أن أبا عنان" لما اجتمع لديه علماء المغرب وغيرهم أمر الفقيه العالم الحافظ القاضي أبا عبد الله المقري يقرأ التفسير فامتنع عن ذلك وقال أن أبا عبد الله الشريف أحق بذلك مني فقال: له السلطان أنك عالم بعلوم القرآن وأهل تفسيره فاقرأه فقال له: أن أبا عبد الله أعلم بذلك مني فلا يسعني أن أقرأ بحضرته فعجبوا من إنصافه وفسر أبو عبد الله الشريف لحضره كافة علماء المغرب وكان المجلس في دار السلطان فنزل عن سرير ملكه وجلس معهم على الحصير فتفجر أبو عبد الله عن ينبوع من ينابيع الحكمة أدهش به الحاضرين وأتاهم بما لم يحيطوا به حتى قال السلطان عند فراغه أنني لا أرى العلم يخرج من منابت شعره**"[2] .

وإذا كان هذا النص يعكس مدى إعجاب علماء المغرب وفاس بأبي عبد الله الشريف فإن هناك صنف من العلماء الذين كانوا يحسدونه ويسعون للإيقاع به من خلال أسئلة فقهية مفخخة ،وكذلك في السعي لإفساد علاقته بالسلطان المريني أبي عنان فضلا عن نماذج آخرين كانوا يتقمصون ما يصدر عنه من العلوم والشروح والتوضيحات . و حسبنا من النصوص الواردة في المخطوط و المسيئة إلى الوسط العلمي و الديني بفاس خلال القرن 8ه/14م.

"أن الفقيه الصالح أبا عمران بن موسى العبدوسي كبير فقهاء الفاسيين كان يبحث عمّا يصدر عن أبي عبد الله الشريف من تقييد و فتوي فيعده لنفسه "[3] ،ويبدو أن أبا عبد الله الشريف قد تنبه إلى هذه السرقات العلمية وأصبح متحفظا في منح تقاييد في التفسير والفقه وغيرها إلى علماء فاس الذين كانوا يطلبونها منه فقد "**جاء الفقيه القاضي أبو عبد الله الفشتالي يطلب منه ما يصدر عنه من ذلك اليوم –أي من تفسير للقرآن في مجلس أبي عنان السابق الذكر-فقال له أنه من كتاب كذا وكذا كتبا معروفة عندهم فعلم القاضي أن الحَسَرْ للشُنَبْ وأن الأمر غير مُكْتَسب**"[4] .

ناهيك على نص يعكس سعي "**أحد الفقهاء الفاسيين إلى السلطان أبي عنان ممن كان يحسده ونسبه عنده إلى عدم التحرير في الفقه فبعث إليه السلطان في الوقت، وحشر إليه فقهاء الفاسيين ، فلما حضروا أمره بقراءة قوله صلى الله عليه و سلم :« إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم » الحديث يخبر بذلك قوله في الفقه فأخذه في القراءة من غير نظر ولا توطين فكان من أول ما قال في هذا الحديث خمسة وعشرون فرعا الأول كذا و الثاني كذا وأقبل على سردها ثم على أخذها من الحديث ثم على الترجيح ما رجح منها كأنما كان يملي من الكتاب فلما رأى السلطان منه ذلك أقبل على الطاعنين فيه وقال لهم: هذا الذي تشيرون إلى قصوره في الفقه و أوسعهم توبيخا**" [5] .

والى جانب الوالد كان لولده عبد الله الغريق مجلس في تدريس العلم بفاس، وكانت طريقته في التدريس إذا اختلف الطلبة في مسألة وتشاحنوا فيها أمرهم ... في التقييد فيها وحصر حججهم في معانيها تدريبا من الشيخ لهم واختبارا لما عندهم، وكان يحضر مجلسه كبار الفقهاء يسألون في المشكلات والمعضلات والشيخ يفصل بينهم ويصل بينهم [6]، ولما كان طلبة فاس يعتمدون على الحفظ أي عكس طلبة

---

[1]-المجموع ،ورقة 21.
[2]-نفسه ،ورقة 10.
[3]-نفسه،ورقة 10.
[4]-المجموع:ورقة10.
[5]-نفسه،ورقة26.
[6]-نفسه،ورقة 53.

تلمسان فقد كانوا يلجؤون إلى اختبار درجة حفظه وصحة نقله [1]، "**وإلى جانب ذلك أيضا كان على طريقة والده ومذهبه في الأبحاث والأنظار والأنقال والتحقيق والاستبصار"**[2].

مما جعل مجلسه بالجامع الأعظم بفاس محل توافد العلماء والفقهاء وكبراء الدولة المرينية، و من الذين أعجبوا بعلمه وطريقته في الإلقاء وحسن تدبيره للطلبة كلّ من: أبي عبد الله الهاني الأندلسي أحد كبراء الدولة المرينية والفقيه أبي القاسم بن رضوان رئيس كتبة المغرب، اللذين كانا لهما الفضل في التعريف بأبي عبد الله الغريق عند السلطان المريني عبد العزيز و السعي في شأن تغطية نفقاته ، حتى أنهما أقنعاه بتخصيص مرتب له كان يصله كلّ شهر [3].

ومن هذه الشواهد التوثيقية التي أوردها لنا أحمد بن أبي يحيى ت 895هـ،و قام ابن مريم بتلخيصها يتضح أن المكانة التي وصل إليها بيت الشريف العلوي خلال القرن الثامن الهجري و أثناء الربع الأول من القرن التاسع الهجري في الغرب الإسلامي قد اقترنت بجملة من المعطيات و الوقائع و الظروف المختلفة و أهمها : أن انتماء هذا البيت إلى شريحة الشرفاء الحسنيين المشهود لهم بالصلة بآل البيت ، جعل أمراء الدولة الزيانية و المرينية يبجلونهم و يكرمونهم بالمرتبات و الهبات و الأعطيات الفلاحية ، فضلا على ما كان يكنه مجتمع المغرب الإسلامي لهذا البيت من التقديس و الاحترام و الولاء [4].

ثم إن جلوس الشريف العلوي التلمساني على كرسي الآبلية بتلمسان قد جعل منه رأس تيار الأصوليين المتكلمين بالمغرب الأوسط و افريقية و فاس و المنضوين تحت شعار **"القرابة العلمية و الأخوة في التلمذة للمشيخة الآبلية "**[5] ، ناهيك على أن جواباته و اجتهادات بنيه في حل المقفل من الإشكالات الكلامية و المنطقية و الفقهية صارت ديدن المهتمين في غرناطة و فاس و تونس ، مما ساهم في تفعيل أشكال المثاقفة العلمية بين بيئات الغرب الإسلامي .

(1)- نفسه،ورقة 53.

(2)- نفسه،ورقة 54.

(3)- نفسه،ورقة 54.

(4)- المجموع :ورقة 77،76.

(5)- نفسه ، ورقة 21.